مفهوم التصور والتخيل دراسة في المصطلح:

التصور نشاط ذهني طبيعي للعقل يفترض وجود عالم حقيقي ليتحرك من خلاله العقل لمعالجة وفهم موضوع ما دون أن يكون هذا الموضوع بالضرورة حقيقي ولكن المعالجة تبدو حقيقية منتجة قابلة للانتقال بواقعية إلى الوجود الفعلي دون أن تصطدم باللاواقعية أو المحال اللاممكن,وهنا يمكننا أن نفهم التصورات الذهنية على أنها نشاط معرفي للعقل الذي يخترق بقدرة تكيفية وتكوينية عالم الوجود المادي إلى ما هو خارج نطاقه ولكن يرتبط به برابط الإمكان.

فالتصور أذن ليس اختراعا للوجود بل ابتكار ماهيات بالصورة الذهنية المجردة حاضرة بالزمن اللاحسي أو اللازمن حسيا الهدف من خلق وابتكار هذه الماهية هو لافتراض عالم يقبل بقوانين الوجود من غير حضورها المادي للوصول إلى نتائج من خلال تفاعل الماهية المبتكرة هذه مع حال التجاوز هذا وخلق معالجة أو صنع وعي خاص بحالة معين أو موضوع يجب أن يمتحن تحت قاعدة هل يمكن أو لا يمكن.

بمعنى أخر التصور هو بناء عقلي افتراضي في مساحة خالية من الحد الزمكاني والمادة لا يخرج عن نطاق الفاعلية الذهنية ولكنه يستهدف الواقع محتسبا للزمان والمكان ولا بد أن يتقيد بقوانين المادة, فليس التصور قفز على القوانين العامة التي تحكم الوجود والموجود أو هي افتراضات لا تعير في عملها أهمية لها لأنها بذلك تتجاهل حقيقة التكوين وموجبات تحققه وتتحول إلى وصف أخر.

نأخذ مثالا من الواقع كحال المعماري الذي يرسم في ذهنيته الهندسية مجموعة من التصاميم الهندسية التي تتعلق بمشروع عملي مبتدأ بحساب الممكن والمحال, كذلك يجسد افتراضيا مقدماته ونتائجه وحساب التناسب والموائمة بينهما,ولا ينسى أن يضيف أو ينقل ما هو غير معتاد أو مألوف في رسم هذه الصورة ليخرج بنتيجة تؤهل الافتراض المبدئي للإمكان ألحدوثي,متجاوز في ذلك عامل المادة والزمان والمكان في إنجاز المشروع بالصورة الذهنية هذه.

فهو لم يخترع وجود ولم يحدثه محكوما بقوانين الوجود المادي ولكن أبتكر لنفسه عالم وجودي ذهني بامتياز دون أن يصطدم بالقوانين الطبيعية التي تحده من تجاوز الممكن ألحدوثي الفعلي وتتناغم مع حساسية العقل وقدرته على صناعة وجود مفترض ولكن ذو أبعاد كاملة وحقيقي نسبي بالتجاوب.

أذن التصور نوع من أنواع المعرفة وشكل من أشكال النشاط العقلي وليس من الصحيح جعل التصور خارج أطار الفعل العقلي السليم وهو نوع من أنواع النظر الفكري المستند في تأسيسه على الذاكرة القريبة والبعيد وعلى الوعي الحقيقي بالأشياء, وطريقا بدويا لبناء

أسس تقام عليها فيما بعد مع توفر القدرات تجربة أما حسية مادية أو نظرية فكرية أو منتج معرفي يتلمس الواقع الوجودي ويصل إليه.

أما التخيل فهي عملية تشترك مع التصور في ميكانيكية النشوء والبدء لكنها تفترق عنه من أن الأولى لا تراعي دائما حدود الإمكان الحدوثي ولا تلزم نفسها أبداً بتوافق النتائج وتطابقها مع الواقع المادي ببعديه الزمان والمكان لو قدر لهذه العملية أن تترجم واقعيا,فهي أذن تبنى على افتراض يتملكه المحال إبتداً في الصيرورة والشكل .

فالتخيل هو عالم من الافتراضات الذهنية تصاحب دائما حالة من تعجز أو شعور بالعجز أو الاستحالة الحدوثية في ذهن المتخيل ولكن في نفس الوقت هي لا تتصل دائما بقوى النفس الثالثة الناطقة ولكنها تجد في قوى النفس الثانية داعما وأرضية ترعى التخيل وتشبع رغبات ما تحت الإدراك الواعي للنفس الإنسانية وبالتالي فيكون التعاطي معها بالصورة السلبية هذه نوع من أنواع الأمراض التي تصيب النفس وتقعد بها عن محاولة استكشاف الواقع بالوسائل العقلانية أو المعرفية التي تتناسب مع القوة الأولية للعقل ذاته.

والفرق الأساسي بين التصور والتخيل هو القاعدة التي ينشأ بموجبها النشاط الذهني وكيفية إنشاء هذه القواعد والنتائج المتحصلة من تلك المقدمات والمعطيات, فالتخيل دائما يبنى على الاعتباطية في تقديم وتأخير الخيارات الممكنة والمتوقعة والقابلة للترجمة حدوثا وقبولا, وهنا يمكن أن نقول أن التخيل يبنى بصورة رئيسية على ما يناسب قوى النفس الحسية ويتناغم مع توجهاتها دون أن يكون للمتخيل قدرة على تعديل سير هذه القوى أو تقويمها من خلال هذا العمل الذهني أو يطور من قيمة التعاطي معها لبلوغ درجة أعلى في تلبية الحاجة أو الإستجابة للضرورات الملحة .

فالتصور له صفة عامة يمكن أن نضعها في أطار الإيجابية الضرورية والبُدية التي لا غنى عنها لتطوير القدرة الذهنية والمقدرة في تكوين المعرفة, أما التخيل فبالضد من ذلك تماما ولا يساعد في أنتاج المعرفة ولا يطور من آليات العقل الفاعلة بل من خلال التخيل المفرط قد تصبح تلك القوى والقدرات في تراجع حتمي من ناحية التشغيل والتفعيل وبالتالي التراجع العقلي الذي يرجع بالإنسان الكثير التخيل إلى السلبية التي تقوده حتما للتخلف عن مجارات الواقع والوجود المحيط.

المرجع : مفهوم التصور والتخيل دراسة في المصطلح

عباس علي العلي

الحوار المتمدن-العدد: 4257 - 2013 / 10 / 26 - 19:51

المحور: الفلسفة ,علم النفس , وعلم الاجتماع